البارقة

تأليف حضرة صاحب السيادة ، مولانا السيد محمد أبي الهدى افندي الصيادي الرفاعي
بلّغه الله في الدارين الحسنى وزيادة ، وقدس سره ورضي الله عنه

بتوجّهات مدير الدائرتين ، وهمّة القائم في الرحبين
ونائب الأقطاب الوُرّاث ، أبناء الإمام أبي العَلَمين
القائم بنشر العِلم والحال المحمدي ، ورافع لواء الطريق الرفاعي الأحمدي
سيدي صاحب الفضيلة الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة حفظه الله وأيّد به الاسلام والمسلمين

عني بكتابتها وتحقيقها وترتيب جمعها ، وأكرم بتصحيحها والإشراف على سير طبعها
طفيلي مائدة الآل ، والمستشرف بأعتابهم عند نوّابهم لخدمة النعال
أفقر الورى ، وأحقر من ترى

عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط

السقباني الدمشقي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين

الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هجرية

على نفقة جامعها وأخيه في الله المحسن الفاضل الحاج محيي الدين غنام أحسن الله للجميع الختام

توزع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البَر الرحيم ، العلي العظيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم ، الهادي الى الصراط المستقيم ، وعلى آله وأصحابه أعيان الأعيان ، وسادات كل زمان .

اما بعد فيقول العبد الفقير الى العناية الإلـهية في الشؤون والدواعي ، محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، ووالديه والمسلمين ، إنه النصير المعين .

هـذه رسالة لطيفة ، تتضمن شيئاً من المعاني الشريفة ، سميتها (البارقة) لأنها سقطت للخاطر كالبرق الخاطف ، واندمج فيها الكثير من المعـاني واللطائف ، والدستور الأعظم (قل كلٌّ من عنـد الله) ولا حول ولا قوة إلا بالله .

العقل مُعْقَل ، والروح مُطْلقة ، فعقـال العقل يوقفه في مشاهده كلها مع غاية إدراكه لا ينطلق فوق تلك الغاية .

وإطلاق الروح يسير بها الى ما وراء العقل يعني يطلقها ذاك الإطلاق

في فضاء الغيب ، ولذلك الإنطلاق ضوابط ، فإن كانت روحاً نيِّرة انكشف لها من فضاء الغيب العجائب ، وصح لها بذلك الانكشاف من حقائق الفهم الغرائب .

وإن كانت روحاً مظلمة هَوَت في فضاء الغيب كحاطب ليل ، لا تقف على حقيقة ، ولا تصل من صحيح القصد الى رقيقة ، ولهذا السر فقد أثنى الله تعالى في كتابه على اهل الإيمان بالغيب فقال سبحانه (الٓمٓ ۞ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ۞ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ۞) فقد نعتهم سبحانه بالمتقين ، وذكر علاماتهم وأوصافهم وكان أولها الإيمان بالغيب وذلك لأن فيه من دقائق اسرار الملكوت ما تندهش له العقول كظهور سرّ الفَرَج في وقت المضيق ، وانبلاج نور النصر من أبعد طريق ، وما أحسن ما قاله بعض اهل العرفان في هذا الشان :

كن لما لا ترجو لنفسك أرجى ... منه يوماً لما له انت راجي
إن موسى مضى ليقبس ناراً ... من ضياء اتاه والليل داجي
فأتى قومه وقد كلّم الله ... وناجاه وهو خير مناجي
وكذا الأمر كلما ازداد ضيقاً ... قربت منه ساعة الانفراج

وإطلاق الروح فيه اسرار كثيرة يعرفها العارفون ، ويجهلها الجاهلون ؛ منها ان حكم الإطلاق للروح من كونها امرية ، أي من امر الله سبحانه ، وأمر الله جلّت عظمته مطلق غير مقيّد . ومنها انها لطيفة غير متعينة الماهيّة ، ومثالها في اللطائف كمثال العقل فإن العقل متى كان جوهره محفوظاً صحّت الآراء واعتدلت اعمال المرء ، وقام بما ينفع ، وتباعد عمّا يضر ، ومتى ذهب ـ والعياذ بالله ـ جوهره فسدت الآراء ، واختلطت الأعمال ، وخبط المرء النفع بالضر ، وما ميّز بين الخير والشر ، وكذلك جوهر الروح الغير المتعين الماهيّة الذي هو سر لطيف ملازم بالأمر للوجود متى انفك عنه بطلت الحركة من الوجود وصار كالخشبة الملقاة أو كالحجر المرميـة ، وانفصل عنه كل ما قام به من سر لطيف كالعقل والكلام والسمع والبصر والحس والحفظ والخيـال والخاطر والإرادة والفكر وصحة الرأي والتدبّر والخروج في معاملة الخلق على طبقاتهم ، والعبور بها من حيث الكلام والأخذ والإعطاء ، وإقامة تعهّدات النفس تصوّراً ؛ ومعلوم أن زوال العقل الغـريزي يوجب الجنون لأن الغريزيّة يتبعهـا العلم بالضروريّات عند سلامة الآلات اعني الحواس ، ومحلّه القلب وشعاعه متصل بالدماغ ، وقال آخرون : بل محله الدماغ وشعاعه متصل بالقلب

ولكل دليل والنزاع لفظي ، ويتبعه العقل المكتسب الذي يحصل به حُسن التصرف وهو من مواد العقل الغريزي إذ لايمكن وجوده إلاّ بذلك الغريزي فهو اصل والمكتسب فرع منه وما هو بغيره فليتدبر .

وكذلك زوال سر الأمر ـ الذي هو الروح ـ عن الجسد معطِّل لجميع مواد الجسد الفرعية اللطيفة ، ولأعماله الكثيفة . والسر الروحي منتشر في كل ذرة من ذرّات الوجود ، آخذ بجميع اجزائه ، ولكل جزء من ذلك السر نصيب ، وقد أُقيم وجدان النَّفَس بتشديد النون وفتح الفاء علامة لبقاء ذلك السر الأمري في الوجود ، وفقدانه علامة لانفكاك السر المذكور عن الوجود ، وكل مافي الكون من اسباب يبرزها القدر كإصابة النبل والرماح ، وانواع السلاح ، والأجزاء النارية ، والمضايق القاهرة ، وطوائف المصائب التي تندفع الى أبدان الآدميين من الآلام والأسقام ، والحوادث والنوائب التي تكون سبباً لإزالة النَّفَس فتلك صوارع الآجال ، ولكل اجل كتاب ، فإن الأجل إذا جاء لا حاجة للأسباب .

وقد قال سيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنه : كل طوارق الأسباب التي تحصل بها الآجال هي مشغلة لأذهان العوام وإلاّ

فالآجال مقدّرة في كُتُبها والحكم لله يفعل ما يشاء ويحكم مايريد .
انتهى كلامه العالي .

يريد بقوله مشغلة لأذهان العوام ان الاسباب تصرف اذهان العوام اليها فتشتغل بها ، والخواص يتحققون ان تلك الطوارق هُزّت بيد القدر فإن رمت وأصابت كانت مُفسِّرة للوقت المخصص للأجل وإلا فإنها لا تصيب (ونعم الحارس الأجل) وهم حينئذ في امان الله وقفوا مع التدبير بالتسليم للمقادير دبّروا لاستكشاف سر القدر لا للفرار من حكمه الذي لا يتغيّر ، فمتى انكشف لهم وقفوا معه راضين بما يكون ، قائلين : انا لله وإنا اليه راجعون .

ومن اسرار إطلاق الروح تجريد شعاعها في عالم الكون وإمكان ارتفاعه الى العالَم الأعلى ، وتسلُّق ذلك الشعاع في العوالم لاستكشاف اسرارها فاذا انجمع ذلك الشعاع ورجع لمستقره انطبع ما استكشفه من اسرار العوالم في الروح فأفاضت ما فيها الى العقل فأخذ منه مايمكنه اخذه ، وأفاض باقيه الى اللطائف القائمة مع الهيكل الوجودي فأخذت كل لطيفة ما يناسبها واستودعت ذلك في خزانتها ، مصونة تلك الاستكشافات الرقيقة الروحية في مكانها لإبّانها ووقتها وزمانها ،

غير أن الروح المظلمة ولو جرّدت منها اشعّة لهّابة وسارت في العوالم واستكشفت بعض اسرارها اذا انجمعت ورجعت لمستقرها طبعَت في الروح الأغلاط ، وأفاضت الى العقل الأوهام فاختلف على العقل الرأي ، وضاع الحزم ، واختلفت على الفهم الطُرق ، وبهذين الوجهين الفرق بين الروح النيِّرة والروح المظلمة والله المعين .

ومن اسرار إطلاق الروح وقوف شعاعها في مركز الشؤون العامة الكونية واكتسابه من مصادرها وموارداها وذلك سر يعرفه خُلّص العارفين نعم اذا انجمع الشعاع ورجع لمستقره قُنّع بغين ثقيل فإن كانت الروح نيِّرة كان ذلك الغين غين انوار ، وإن كانت مظلمة كان الغين غين أوزار ، فأهل الأرواح النيّرة يستغفرون الله سبحانه عند بروز الغين النوري الذي ينتشر من القلب على نور الروح فتنحجب بنور آخر عن مطالعات الرقائق الغيبية ، والحقايق الذاتية ، وقد قال سيدهم ﷺ « إني ليغان على قلبي فأستغفر الله مائة مرة » وبالاستغفار يصفو نور الروح عن المادة التي اثقلته من نور آخر .

وأما اهل الأرواح المظلمة فإن غينها من عينيّتها ظلمات بعضها فوق بعض ، كلها دافع عن الحق ، ملحق بالخلق ، ساتر للحقيقة ، مزحزح عن الطريقة ، وقد يقوم بعض اصحاب الرياضات من كفرة المجوس

وغيرهم فيوهن بالرياضة عزم النفس ، فإذا وهن عزمها بقيت الروح مجرّدة وهناك تتسلّق الى منصّات الشؤون الكونية وتحدث عنها الانفعالات القوية غير انها متى صوزعت بقوة روح نيِّرة صرعتها ، وتركتها على صعيد وهنها لا تبدي ولا تعيد،وفي كل سوابحهاأغلاطها تدفعها عن الصواب ، والى الله المرجع والمآب .

ومن أسرار إطلاق الروح صدق المودّة التي لا تندمج بغرض آخر وهي شأن الروح النيِّرة الطاهرة ، وتدبر فإن الانصار رضي الله تعالى عنهم جاءوا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشيء من مالهم وقالوا : قد هدانا الله بك وأنت ابن أُختنا فاستعن بهذا المال . وهنالك قال المشركون : أيبتغي محمد على تبليغ الرسالة اجراً ؟

فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً مّا لكن أسألكم أن تودّوا قرابتي ، والود أمر روحي معنوي لا يندمج به وسخ الدنيا الدنية .

ووجه آخر لا أسألكم أجراً إلاّ المودة في القربى فإني اسألكموها، والنص خاص بقرابته صلى الله تعالى عليه وسلم ، والحكم عام وسبب كون الحكم عاماً أن قرابته قرابتهم ايضاً ، ويجوز أن يكون القصدكل

المؤمنين لأن كل نبي ابو أمّته ولقوله تعالى (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمّهاتهم) أو مودّة النوع الآدمي لقوله تعالى (يا أيّها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) والمودة فيها إرادة الخير لمن يودّه الرجل ، وإرادة الخير للناس كافة حكم هذا الدين المبين ، فمن الحكم العام المعنى لا أسألكم إلا أن تتوادّوا وتتقربوا الى الله تعالى بما يرضيه ، وبمعنى النص الخاص لا أسألكم إلاّ مودة قرابتي ، وحفظي فيهم ، وقرابته الذي سألنا المودة فيهم هم فاطمة وعليّ وابناهما ، وآل عـــليّ ، وآل عقيل ، وآل جعفـر ، وآل العباس ، وعلى قول : بنوا هاشم ، وبنوا المطلب ايضاً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « حُرِّمت الجنة على من ظلمني في اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أُجازيه غـداً إذا لقيني يوم القيامة » .

ومن اسرار إطلاق الروح كمال اليقين بأسرار الله ، وصحيح الاعتماد على الله ، وصدق الالتجاء اليه ، والتوكل الخالص عليه وقد قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي فهو يكفيه ، ولا يكمل هذا الشأن إلا للروح الطاهرة النيّرة فإذا تم لها هذا سرحت في فضاء الملكوت حالة النوم ، وأخذت حفظ العلم الكوني من الرؤيا الصالحة

وفي الخبر « الرؤيا الصالحة وحي المؤمن » وأيضاً « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من أجزاء النبوة » لأن حكم الرؤيا الصالحة انبجس نوره عن روح نيِّرة سارت في فضاء الملكوت ، فوقفت في بحبوحة الكيان ناظرة لأسرارها غير محجوبة عن حقيقتها ، آخذة من قوة إشراق النور النبوي ، مهتدية بالهدي الإلهي ، وعلى قدر التصاقها بالنور المصطفوي يكون لها الحظ الأوفر من الاطلاع الصحيح على اسرار الكيان ، وحوادث الأكوان ، تارة بالرؤيا ، وتارة بالعيان ، ولسر هذا الشأن الشريف قال عليه صلوات الله وأجلّ تسلياته لجماعة من الصحابة الكرام « لو توكلتم على الله حق توكله لكفاكم كما يكفي الطير يغدو خماصاً ويرجع بطاناً » والرؤيا رفرف الشهود الغيبي يمد للروح وهو للعجائب تسرح وتروح وتعود إن كانت نيِّرة بأنواع الفتوح ، ولن تبلغ هذه المرتبة الرفيعة بغير التوكل الصحيح ، واليقين الصادق ، وإن التوكل ضده اعتماد المرء على رأيه وتدبيره ، وإسناد كل ما يقع منه وله للسبب دون المسبب ، واليقين الصادق ضده الشك ، وأين يمكن بينهما بروز نور روحي يجتذب من بحبوحة الكيان اسرار العلم الصحيح ، ويفيضه الى العقل ليستودعه خزائن الهيكل الوجودي كما يليق لها ، ولا بدع ففي لسان الحكمة : اعتماد المرء على رأيه غرور ،

وشكّه في الشؤون شتات خاطر . ومن كان مغروراً غير مجتمع الخاطر لا ينتج عن عمله إلاّ الاعوجاج عن الصواب ؛ وفي لسان الشرع : فالمغرور المتردي برداء الكبرياء والعظمة ورؤية النفس هو منازع لله ؛ والشكّاك غير صحيح الإيمان بالله . ومن كان كذلك فهو مغلوب مقهور ، مقطوع الحبل ممكور ، والى الله تصير الأُمور .

وقد فسّر بعض ارباب الصفاء التوكل بإسقاط التدبير ، والتسليم للمقادير ؛ والحال ان حكمه الشرعي لم يكن كذلك ألبتة ، بل هو الأخذ بالعزم والعزيمة في كل ما يؤول لإصلاح الأمر الديني والدنيوي مع إسقاط النظر الى السبب ، وصحة الإيمان بالمسبب ، وظهور سر التأثير إنما هو فعل القوي القدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

ولا يخفى أن اشعّة الروح سبّاحة ، وإنكار بوارق الأرواح جهل بمدد الفتاح ، ولم يجهل سريان بوارق الأرواح إلاّ الجاهل بأحكام العلم النظري ، والنص القدسي ، والطريق السماوي ، والحال النبوي ، فإن الروح حالة سبح اشعّتها تهتف بحقيقة تراها فإذا انجمع الشعاع ورجع الى المستقر أفرغ ما هتف به في العقل واندلع ذلك المُفرَغ الى الخاطر فيرى المرء أن سرّاً يسقط الى خاطره من حيث يفتح بروزنة الفكر عيناً قلبية تشاهد إنساناً معروفاً فلا تمر آونة يسيرة إلاّ وذلك الإنسان

يجيء وتراه عين المرء الباصرة كما رأته عين البصيرة ، وقد تسقط على الخاطر صورة إنسان مجهول بصفة تتعين للخاطر فلا يمضي برهة إلاّ ويجيء ذلك الرجل بصفته التي تعينت بسائق الساقط الغيبي للخاطر وقس على ذلك .

فهذه من خصوصيات الأرواح نيِّرها ومظلمها ، وذلك ليثبت عند ذي الروح المظلمة الدليل القاطع الذي يقوم بنفسه على صحة سبح الأرواح ، وعلو بوارقها في عالَم الإمكان والله على كل شيء قدير .

والروح كلما استنارت اجتذبت القلب الى الله ، والعقل الى نفع الناس على الإطلاق ، وكلما أظلمت ـ والعياذ بالله ـ سدَّت منافذ القلب عن الميل الى الله فسقط في وهدة الغفلة ، ودفعت العقل الى الحرص والطمع والشَّرَه ، وضرر النوع الآدمي. وهنالك وساقط العقل غافل القلب ، مظلم الروح ، يترفع بتجاوز حدِّه ، فيعدو على الأدب الديني ، والوضع الإلـهي ، ويهجم على بني النوع هجوم الكلب الأكلَب ، وحينئذ يجب على المتشرعين من اولياء أمور الهيئة الاجتماعية صدّه وردّه ، ويجب على مَنَعَة الأُمّة قطع يده عن أن تصل الى أذيّة فرد من أفراد النوع ، وهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جاء في كتاب الله ، ودلَّنا عليه رسول الله ﷺ .

هذه نبذة يسيرة من احكام إطلاق الروح وفيها البلاغ إن شاء الله، واما قيد العقل بعقاله ،ووقوفه مع ظلاله فهو حكم جوهريته الغريزية، وشوارقه الاكتسابية لايتعداها ،ومتى انفك عن حكم الغريزة فقد زال جوهره ـ والعياذ بالله ـ وذلك هو الجنون ، وإذا انقطع عن الاكتساب وبقي مع الغريزة فهو العقل المحجوب بغلظته الملحق بالغرائز البهيمية ، المنفكّ عن شرف المحاسن الإنسانية بالكلية ،ومثل ذلك العقل اعني الذي لم يكتسب ويتهذب فوجوده وعدمه على حدٍّ سواء .

والاكتساب العقلي من اربع طرق .من صحة النظر في الأكوان ؛ ومن صحة النظر في النفس ؛ ومن مصاحبة العلماء والحكماء والأخذ عنهم ؛ ومن تقوى الله تعالى على الطريق الشرعي ، والكتاب السماوي، والنص النبوي . فصحة النظر في الأكوان ، وصحة النظر في النفس ، ومصاحبة العلماء والحكماء قد تكون للمسلم المؤمن الكامل ،وقد تكون لغيره من ارباب العقول وبها يتوصل لكل شأن رفيع ، ومعنى مليح ، وحكمة معقولة ، وطرز في المنهاج والمسلك ينفع في الحال الدنيوي ويصلح المعاملات لصاحبه مع الناس ولكن لايتم الكمال الجامع لخيري الدنيا والدين إلاّ بالتقوى ،وهي في القلب وقد قال الله تعالى (واتقوا الله ويعلّمكم الله) وقد قال عليه الصلاة والسلام« من عمِل بما يعلم ورّثه

الله علم مالم يعلم» فإذا ارتقى العاقل من النظر الصحيح في الأكوان معتبراً بسر الصانع المستودع بالمصنوعات الى العالم الأكبر المنطوي فيه ، ثم حقق نظره بعلم العلماء ، وحكمة الحكماء ، وجعل العصام لكل ذلك تقوى الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وكفى بالله ولياً والحمد لله رب العالمين. حررت في جلسة واحدة بمعونة الله تعالى في يوم العشرين من صفر الخير احد شهور سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف ﷺ .